



يبدو أن الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، يرسم سياساته بوحي من مسرح العبث، وإلا لما تجراً وحاول إقناع الذين فاوضهم في أستانة من السوريين أن دولته ستتضمن "خفض العنف" في أربع مناطق سورية، بعد ثلاثة قرارات دولية وأستانية أقرت وقف إطلاق نار شامل في عموم سورية، بضمانه هو وإيران وتركيا. بعد وقف إطلاق النار يأتي اليوم خفض العنف، فأيهما يُفضي أكثر من سواه إلى الحل: استخدام العنف المخفض أم وقف إطلاق النار الشامل؟

لا نريد جواباً، فاللعبة الروسي صارخوض، والكذب علينا، والتلاعب يعقولنا من شيء موسكو وكذبها المغفلين. والآن: هل أفشل روسيا ثلاثة قرارات حول وقف إطلاق نار شامل لتمكنّ علينا بخفض العنف، بعنفٍ من نمط جديد، لن يكون شديداً بل مخفضاً، سيفتح أبواب الحل السياسي التي قيل، ثلاث مرات متتالية، إن وقف إطلاق النار سيكون البوابة التي ستأخذنا إليه حتماً، لكنه لم يكن هناك وقف إطلاق نار بعد أي اتفاق، ليكون بوابة حل سياسي مزعوم!

ماذا يريد الروس من هذه الخزعبلات التي لن توقف حرباً أو تحمي سورية؟ هل يريدون "خفض العنف" في مناطق الاتفاق الأربع التي لا تمثل عشر مساحة سورية، لكي يتخلوا عن التزاماتهم المتكررة بوقف إطلاق النار الشامل في عموم سورية؟ أم أنهم سيخفضون العنف في هذه المناطق، ليطلقوا له العنان ضد مناطق سورية الأخرى، كما تخبرنا معارك اليوم التالي لتطبيق الاتفاق التي استخدم النظام خلالها قواتٍ كانت تحاصر المناطق الأربع، بعد أن تولى الروس والإيرانيون احتجاز قوات المقاومة داخلها، كي لا تساعد من يتعرضون لعنف الروس والإيرانيين والنظام في بقية الجغرافيا السورية؟

هل سيخفض العنف حقاً داخل المناطق الأربع؟ يسمح الاتفاق للروس والإيرانيين والأتراك بمواصلة القتال ضد "داعش"

وجبهة النصرة، فهل ستحجم قواتهم عن قتال التنظيمين داخل مناطق خفض العنف، أم سيقاتلونهما داخلها؟ إذا أحجموا، خالفوا الاتفاق وبقي الإرهاب، وإذا قاتلوا تخلوا عن التزامهم بممارسة العنف مخفض، كي لا يفشلو في كسر شوكة "النصرة"، المسيطرة على معظم محافظة إدلب، بحجمها الذي يمثل أكثر من نصف المناطق الأربع! كيف يفكر الروس؟ وهل يعتقدون أنهم يلعبون لعبة ذكيةً يتبعها أغبياء لا يفهمون ما تراه أعينهم؟ إنهم يعلنون تصديهم على القضاء على "النصرة"، فهل سيقف النظام جانباً أم سيشارك في القضاء عليها؟ وفي حال شارك، هل يضمن الروس أنه لن يقص المدنيين ومقاتلي الفصائل "المعتدلة"؟ وإذا كان الروس والإيرانيون سيقاتلون بدورهم، هل سيقاتلون الإرهابيين وحدهم هذه المرة، أم سيكررون تجربة سبتمبر/أيلول 2015، سبتمبر/أيلول 2016 التي لم يقصفوا خلالها داعشياً، وصيروا جحيم قنابلهم وصواريχهم على الجيش الحر، كما يفعلوناليوم أيضاً في حماة وريفها، حيث يقاتل النظام، بمشاركة طيرانهم ومستشاريهم جيشي العزة والنصر: ركني الجيش الحر في المحافظة؟

هل صحيح ما يقوله الروس حول اتفاق أستانة، باعتباره ثغرةً في جدار الحرب، تطل على السلام، أم هو نقلة خاصة في سياسات الهدن التي اعتمدوها خلال حربهم ضد السوريين، ليطبقوا عبرها برنامجاً سلميّاً المظهر، خفض العنف في المناطق التي احتواها. وفي المقابل، صعده كثيراً في غيرها، ضد المدنيين والجيش الحر طبعاً.

هل من الخطأ القول إن بين أهداف اتفاق "خفض العنف" قطع الطريق على مشروع إقامة "مناطق مستقرة" الذي أعلنت عنه واشنطن، وقالت إن مناطقه لن تعيش على "عنف مخفض" يمكن أن تحوله لأعيب ورسيا وإيران والنظام في أي وقت إلى اقتتال بالغ العنف بين الفصائل، تعرف موسكو أن نشوئه سيحول بين السوريين والعودة إلى بيوتهم في المناطق الأربع، خصوصاً بعد بدء الحرب ضد "النصرة" التي ستكون أشد عنفاً وضروأةً من أي حرب سبق لهم أن شاهدوها.

أخيراً: هل سيلتزم الاحتلالان، الروسي والإيراني، بما تعهداً أمس بضمانته؟ وكم مرة أعلنا نهائية وقطعية وقف إطلاق النار الذي توصلوا إليه في مفاوضات أستانة، وضمنا امتناع النظام وقواته عن خرقه، ثم كم غارة جوية وهجمة برية شن جيشاهما على عزل سورية خلال وقف إطلاق النار المضمون، وهل عرفت الحرب قبله حدثاً أشد سوءاً من قصف خان شيخون بالكيمايي الذي وقع خلاله: بضمانتهما؛ أليس من غرائب العبث البوتيني أن يجعل الاتفاق مدخلاً إلى حل سياسي دولي، لم تتوقف دبلوماسيته عن إحباطه واحتراق بدائل له، حولته إلى أداة مزقت صفوف السوريين، واحترقتهم وأشعلت الفتنة بينهم؟ أخيراً، هل يصدق عاقل أن الكرملين قرر "خفض العنف" ضد من يريدون إسقاط شخصٍ غزة جيشه بلادهم لإنقاذهم، هو ملا دمشق الطائفي: بشار الأسد.

إذا كانت موسكو جادة حقاً في بدء مرحلة جديدة من سياساتها السورية، فلتعد إلى وقف إطلاق النار الشامل، وللتلتزم وتلتزم إيران والأسد به، ولتفاهم مع واشنطن على تطبيق وثيقة جنيف والقرارات الدولية التي تفسره، عندها لن تكون بحاجة إلى الأعيب سخيفة، وستفتح باب الحل السياسي الذي طال شوق السوريين إليه، وليس لقتالهم وحراكم السلمي أي هدف آخر غير تحقيقه.

العربي الجديد

المصادر: